كان حبا للحياة عظيما . كان اخلاصا للانسان عميقا .

كان ايمانا بشعبه وامته لا يتزعزع . كانت ابتسامته ، كان وجوده صورة من صور الوطن .

كثيرون يحدثونك عن الوطن . كثيرون يذكرونك احيانا بالوطن ، بالوطن الدامي المعذب ، بالوطن المشرد الذي نعشقه ، وكلما طال التشرد كلما عشقناه اكثر .

واما هو ، فقد كان حديثه عن التشرد واللجوء والالم والضياع ، يقودك من حيث لا تدري الى ان تحلم بالربيع ، ربيع الليمون ، ربيع فلسطين .

وهذا هو كمال ناصر .

قمة في نفسه على جبل من المعاناة والتمزق .

وقمة اخرى من الامل والايمان العظيم بوطن يستعاد ، بامة عربية واحدة ، تزول فيها الحدود ، تزول قبعة الشرطي المستبد ، ترتفع الهامات المحنية ، ويعبق الافق بنسائم الحرية .

وهذا هو كمال ناصر .

شاعر اصيل ، يتدفق من الاحساس شاعرية فياضة ، فيعشق القلم لفترة من فترات تشرده ، ثم ينسى شعره ، ينسى حبه ، امام جبال الهموم ، امام شعبه المعذب ، فيقتحم العمل السياسي ، يقتحم الغرف المقفلة .

منذ أن كان شابا يافعا وهو يقتحم الغرف المقفلة ، يقتحمها كما يعرف ويشعر ويريد ، متخطيا اصول المقترحات السياسية ، واصول الغرف المقفلة .

هو يعرف تلك الاصول ، ولكنه لا يعترف بها ولا يستطيع مجاراتها .

هو يغرق في المبادىء والشعارات ، بينما غيره يغرق في الاحداث اليومية ، وفي الاحاديث اليومية ، فيشعر احيانا بشيء من الغربة ، ويشعرون هم بالدهشة ، ويقولون : لا يمكن لكمال ناصر ان يكون سياسيا . وبعضهم يتساءل : اما يكفيه ان يكون شاعرا .

وحده كان يملك الحق ليقرر ماذا يريد ، وماذا كان يمكن ان يكون .

ما اراد كمال ناصر يوما ان يكون المتنبي او شبه المتنبي ، ما اراد ان يكون شاعر العصر .

وما اراد يوما أن يكون غيفارا . قالها بصدق ولكل الناس ، انا لست غيفارا ، انا كمال بطرس ناصر .

لقد أراد شيئا واحدا .

أراد ان يكون رجلا يناضل في سبيل امته وفي سبيل مبادئه بمقدار ما يستطيع . واراد ان يكون شريفا .

لا يدعي النبوءة ولا البطولة .

لا يخوض اوحالا ومستنقعات كي يصل الى ارتفاع هضبة .

حقا ، لقد اراد شيئا واحدا ، ان يكون رجلا مناضلا بمقدار ما يستطيع . وقد برهن حقا على ما أراد . فانتهى الجدال من حول الشاعر والسياسي ، او السياسي والشاعر .

وحكم الموت سيد الاحكام .

مات الرجل كمال ناصر .

مات كما يموت الرجال ، اغلى الرجال ... أصدق الرجال ... واندر الرجال .